

تظلم هو باقته بذوق فائق وزين بها شعرها . وحين زينت بباقتها صدره! المضطرب . وحين افادت من تلك السكرة اللذيذة فوجدت نفسها بين ذراعيه بالقرب من بقعة البنفسج . هناك تم اعظم سر في حياتها . تبادلتم مع حببيها الوعد ان تكون له ويكون لها الى الابد . السنوات التي مرت بعد ذلك لم تزده سوى جمال ولطف ولم تزدها سوى شغف به . تذكرت تلك الليلة التي عقدت فيها خطبتهما عقداً كنائسياً وكيف اخذت بعد ذلك تستعد للعرس . وماذا جرى بعد ذلك ؟ هل حسدتها السماء والارض على سعادتها فتحالفتا ضدها ؟ حرب وفناء وخوف وجوع وموت — هل قضت على سعادتها كذلك ؟ — كلا . هذه غيوم وقتية . ستعود الشمس فشرق . سيعود فوءاد من بيروت . سيأتيهم بحنطة وطحين وزيت . وهناك تنتهي الحرب . فكيف يجسر هذا البهيم الواقف الان امامها ان يطلب منها ما تصونه من زمان لفوءادها ؟ كيف يجسر ان يدنس طهارة حبا بلسانه القدر ؟ — كلا . كلا والف كلا ! سترفسه بطرف رجلها الحافية وتتفل في وجهه الذي يشبه وجه القرد اكثر من وجه الآدمي . لكن — ابن فوءاد ؟ قد ذهب الى بيروت من مدة اسبوع ولم يرجع . هل حلَّ به سوء لا سمح الله ؟

« اختي بدي آكل » — انتفضت سليمة كورقة هزتها الريح

فلامت نفسها لانها الى تلك اللحظة لم تفكر سوى بامر سعادتها . ومن هي وما هي سعادتها ازاء الموت الذي يحصد الناس من حولها كل صباح وكل مساء ؟

هل نسيت اباهها ؟ هل نسيت امها المفلوجة المطروحة في الزاوية كجثة لا اثر فيها للحياة سوى الدموع التي تسيل من عينيها الجامدتين ؟ وان نسيت امها فكيف تقدر ان تنسى اخاها واختها . فوءاد ربما لا يرجع في اسبوع او اسبوعين . والجوع لا يرحم ولا يصبر . عنها في امير كالم يجبها الى الان على كتاب ارسلته له من نصف سنة تطلب فيه معونة مالية . فمن اين الفرج ؟ السحتوتي يقدر ان يأتيها بالفرج — لكنه يطلب المستحيل . لماذا يعطي الله خيراته لرجل كالسحتوتي ويمنعها عن المعوزين والايتام ؟ لماذا لا يوجد الاغنياء بشيء من اموالهم على الفقراء في مثل هذه الايام ؟ هل تحولت قلوب الناس الى حجارة ؟ في اميركا الوف من اللبنانيين — فلماذا لا يفكرون بمن تغلف منهم في لبنان ؟ ريال واحد يدرأ الجوع عن اخيها اسبوعاً ، وربما شهراً — أفليس من وجود بهذا الريال ؟ السحتوتي قادر — لكنه يطلب هتك عرضها . وما هو عرضها — هل هو اثمن من حياة اخيها ؟ هل طهارتها اثمن من حياتها ؟ هي مستعدة ان تضحي حياتها لاجل اخيها — فلماذا لا تضحي عرضها وحياتها معاً . تخاف الفضيحة — واية فضيحة ؟ من يجسر ان يرميها بحجر اذا كانت تفعل ذلك لاجل اخيها لا لارضاء شهوات دنيئة ؟ لكن — باقة البنفسج — فوءاد — ابوها — امها — اختها — اخوها . « اختي بدي آكل »

تموجت كل هذه الافكار في رأس سليمة بلحظة واحدة فشعرت ان الارض ماتت بها ، واصابها شلل عقلي ، فجمدت افكارها وتوترت اعصاب

وجها وجحظت عيناها .

السحوتي كان ينظر الى وجهها ولا يشعر بشيء من العاصفة التي كانت تثور في صدرها ، فظن سكوتها الطويل قبولاً بشروطه وتأكد صحة ظنه لما تقل الشمعة من يده اليمنى الى اليسرى ثم رفع يده اليمنى وطوق بها عنق سليمة فلم تبد اقل معارضة . حينئذ لم يبق عنده شك بان قد فاز بما كان يشتهي من زمان ، وان هذه الفتاة التي كانت تعد زينة القرية ستمسي ملكه في ساعة او اقل من ساعة . لذلك ضمها الى صدره العظمي وقال باسم ابتسامه الظافر .

— اذن قبلت زين العابدين ان تكون زوجتي — ها ؟ ما احسن زين العابدين لما ترد عقلها الى رأسها . هه — هه — سه . كان قلبي يدمى لما كنت افكر ان سيفوز بزين العابدين من لا يعرف قيمتها . ومن يعرف لها قيمة مثلي ؟ أليس حراماً ان يُسلم مستقبل حبيتي الى صلوك ، ابن زنى ، فقير ليس على جلده قميص ؟ — قال ذلك وانحنى برأسه نحو وجه سليمة قاصداً ان يقبلها فلم تشعر سليمة بنفسه المثنى على وجهها حتى جذبت نفسها فجأةً من بين ذراعيه ودفعته بعنف الى الوراء ، فكاد ان يسقط الى الارض ، لو لم يصطدم بالحائط ، وانتصبت امامه كلبوءة قدت شبلها . عيناها تقدحان شرراً . ثدياها يرتفعان ويهبطان . وكل نقطة من الدم في جسمها التحيل قد ركضت الى وجهها الذي كان قبل ذلك بلحظة اشد اصفراراً من الزعفران .

— لسانك اقصر من ان يتكلم سوءاً عن فوءاد . ألا تعرف ان فوءاداً في فقره اشرف وارفع منك في غناك ؟ كل ارزاقك واموالك لا تساوي مساراً في نعله . هو ملاك وانت شيطان . هو شهيم وانت نذل . هو حي ولو جاع وانت ميت ولو شبع . هو يموت لاجل الناس وانت تعيش بموتهم . نفه والى تفه عليك وعلى ارزاقك وأموالك وخبزك . اذا كانت الحياة لا تأتي الا عن يدك فالى سلام على الحياة والى سلام على السعادة — وما احسن الموت ! انا جئتك اطلب الحبز ليس لنفسي بل لطفل صغير تناضل روحه الموت ولم يعرف لذة الحياة بعد — لم يعرف الخير من الشر . واذا ضننت برغيف فستلقى جزءاً من يد اقدر من يدي . ابتعد عني ولا تدنسي بيدك ! ابتعد عني ! ابتعد عني ! —

انطرحت سليمة الى الباب وهي لا تعي على شيء . ولما وضعت يدها على قبضة الباب لتفتحه ادركت انه كان مقفلاً وان المفتاح كان مع صاحب البيت . فوقفت هنيئة وللحال مرت امام عينيها صورة اخيها الصغير الملقى على الارض . رأتها يتنفس كأنه مع كل تنفسه يكاد ان يلفظ آخر انفاسه رأت وجهه الذابل الشفاف ، وعينيها المطبوقتين من الضعف ، ويديه المطويتين على بطنه الملتهب ، ثم سمعت صوته المتقطع يرن في اذنيها « اختي بدي آكل » فتذكرت انها تركته يبكي ووعدته انها خرجت لتأتيه بخبز . فانقبض قلبها حتى ضاقت انفاسها لما تصورت نفسها راجعة اليه يدين فارغتين . فوقفت جامدة ويدها على قبضة الباب

السختوتي بقي واقفاً مكانه ينظر ولا يتحرك ووجهه يدل على انه لم يتأثر من كل ما جرى على الاطلاق . ولما ايقن ان غضب سليمة هداً قليلاً عاد وفتح فمه

— ألم اقل ان اطوار النساء عجيبة غريبة ؟ هه — هه — هه . اراك لا تزالين متعلقة بابن العطار . فهل قرأت الجريدة الاخيرة من بيروت ؟ لا ؟ اصبري ، اذن ، قليلاً حتى اقرأها لك . قال ذلك وذهب مطلقاً بقبضه الى غرفته ثم عاد وفي يده جريدة واقرب من سليمة قائلاً

— اسمعي اذن . هذا منقول عن بيروت الرسمية بتاريخ ٥ حزيران . « في هذا الصباح انفذ حكم الاعدام شقاً بفوءاد العطار من بلدة ع . من لبنان بعد ان اثبتت عليه تهمة الحياة امام المجلس العرفي في عاليه اذ وجد المجلس انه ينتمي الى جمعية تدعى « النهضة اللبنانية » التي غايتها فصل لبنان عن الدولة وجعله امارة مستقلة . — هذا ما جرى لجيبك فاذا تقولين بعد ؟ لم ينه السختوتي كلماته حتى ملأت الدار صرخة هائلة خرجت من صدر سليمة كأن رصاصة اخترقت في تلك اللحظة قلبها

— فوءاد ! فوءاد ! فو . . . آ . . . د . . .

وقعت سليمة للحال مغطية عليها . اما موسي السختوتي فلم يضطرب ابداً كأن ما جرى امام عينيه لم يكن من الاهمية على شيء . اقترب على مهله من سليمة المطروحة على الارض واخذها بين يديه كما يأخذ الذئب فريسته ،

ثم سار بها منحنيّاً فوقها الى غرفته وعيناه تضحكان

.....

مرّ يومان

كانت شمس العصر تنحدر نحو البحر متوكئة على اشعتها الطويلة المنتشرة في الفضاء . حر النهار اقلب الى برودة ناعمة مخدرة . جرس كنيسة مار بطرس ، المستترّة بين اشجار الصنوبر في جهة القرية الشمالية ، كان يدق « دقة حزن » . دن — دن — دن — فنسخ تموجات هذه الانات النحاسية فوق اكواخ القرية المتشحة بالحداد ، ثم تخترق بطون الوديان المجاورة حيث تختلط باصوات الحجال وعواء الثعالب ونقيق الضفادع وتموت معها بين شقوق الصخور الابدية الخرساء . على الطريق المؤدية الى الكنيسة يسير موكب صغير مؤلف من كاهن محدودب مسن ، في يده صليب ومبخرة ، يتبعه اربعة — امرأتان وشيخ وشاب — يحملون على اكتافهم نعشاً من اغصان الحور والتوت والسنديان . في النعش جثة فتاة عليها اطمار بالية . وجهها يدل على انها قضت وفي قلبها حقد على العالم بأسره . الى جانبها اليمين تمددت جثة صبي صغير على وجهه ابتسامة ملائكية . ووراء حاملي النعش كانت تتمرغ بالتراب فتاة لا يزيد سنّها على الثانية عشرة . شعرها الاسود الطويل محلول ومسترسل فوق وجهها وكنفيها . على خديها الضعيفين امتزج الدمع بالتراب . رجالها حافيتان مقرّحتان يسيل منهما الدم هنا وهناك . هي لا تمشي ، بل تتدحرج . تنهض على ساقها وتقفز الى فوق

ثم تهبط الى الارض كفضالة اخترقها سهم صياد . ثم تذري التراب على شعرها
 لاطمة رأسها ووجهها وصدرها وجبينها وناطقة شعرها بيديها الضئيلتين .
 صوتها قد بُحَّ من كثرة الصراخ ، فهي تصيح كأن قد اخذتها يد عدو بخناقها
 فيشابه صياحها الخارج من صدرها المتقطع فحيح افعى لا صوت بشر .
 « يا ذلي من بعدك يا سدا... ي... ي... يا تعييري ياخي... ي... ي... سي... !
 يا تعييري يا... يا اخ... تي... ! »

جرس ماربترس ينتحب . دن - دن - دن . في زاوية بيت من
 بيوت القرية المدعورة من صولة الموت عجوز مفلوجة تسكب آخر دمعة
 في عينيها وقد شعرت بيد الموت تطوق عنقها . وفي نيويورك لجنة تنادي .
 « اغيثوا اهلكم يا ابناء سوريا ولبنان » فيعود اليها نداؤها كصدى صرخة
 في وادٍ عميق .

سبحان من يعيد

